تفسير إبن كثير

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله ، الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، الذي (له أسلم من في السماوات والأرض) أي : استسلم له من فيهما طوعا وكرها ، كما قال تعالى : (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) [الرعد : 15] وقال تعالى : (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [النحل : 48 - 50] .فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم ، الذي لا يخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية ، على معنى آخر فيه غرابة ، فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني :حدثنا أحمد بن النضر العسكري ، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي ، حدثنا محمد بن محصن العكاشي ، حدثنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ،

عن النبي صلى االله عليه وسلم : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) أما من في السماوات فالملائكة ، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام ، وأما كرها فمن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال ، يقادون إلى الجنة وهم كارهون " .وقد ورد في الصحيح : " عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل " وسيأتي له شاهد من وجه آخر ولكن المعنى الأول للآية أقوى .وقد قال وكيع في تفسيره : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) قال : هو كقوله : (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن االله) [لقمان : 25] .وقال أيضا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) قال : حين أخذ الميثاق .(وإليه يرجعون) أي : يوم المعاد ، فيجازي كلا بعمله .